من افتراءات المستشرقين

دعوى عدم أمية الرسول ﷺ والرد عليها



أ.د/ عبد المنعم فؤاد (*)

تحدثنا في مقال سابق عن التحامل الاستشراقي على شخص نبينا -صلى الله عليه وسلم- ومحاولة تشكيك المستشرقين في اسمه (محمد) -عليه الصلاة والسلام- الذي يعرف به المسلمون الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، بل وكفار مكة أنفسهم، والعالم كله منذ ولادته -عليه الصلاة والسلام- وإلى يومنا هذا، بل إلى قيام الساعة، غير أن المستشرقين لم يقروا بهذا الاسم، وهرطقوا كثيرا في هذا الأمر، وأتينا على أقوالهم الفاسدة بما يلجم أفواههم من حقائق حتى أصبحت أقوالهم كالصريم،وفي هذا المقال نتعقب هؤلاء أيضا في زعمهم: أن الرسول -صلوات ربي وسلامه عليه- لم يكن أميا بمعنى: لا يقرأ، ولا يكتب كما يعتقد المسلمون، بل كلمة (أمي) عند هؤلاء: كلمة ليست عربية، وقد أخذها العرب، والمسلمون من العبرية، واليهودية حسب افترائهم: وحتى لا نتجنى على هؤلاء ننقل ما سطروه بأقلامهم في هذه القضية في كتاب: - دائرة المعارف الإسلامية -حيث ذكر المستشرق باريه -paretR- في مقال له ما يلي:

إن لفظ (أمي) لقب محمد في القرآن، وهو لقب يرجع في بعض الوجوه إلى كلمة أمة،.. وهي دخيلة على العربية، وليست أصيلة، إذ كانت موجودة في العبرية،والآرامية من قبل[1] -. وهو لقب يرجع في بعض الوجوه إلى كلمة أمة، وهي دخيلة على العربية وليست أصيلة، إذ كانت موجودة في العبرية، والآرامية من قبل، ومحمد أخذها، واستعملها وصارت منذ ذلك الحين لفظاً إسلامياً أصيلاً، ومعناها قبل الهجرة يخالف معناها بعد الهجرة، فهي عند اليهود كانت تطلق على الوثنيين، وإذا كان لفظ أمي معناه الذي لا يقرأ، ولا يكتب: فإن هناك

(*) عميد كلية الوافدين - جامعة الأزهر.

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية ج٢ ص ٦٣٠.

عوامل لغوية تجعل من الصعب تقبل ذلك، ثم يختم بقوله: وقد استدل قوم بإطلاق لفظ الأمي على محمد بأنه لا يقرأ ولا يكتب، والحقيقة أن كلمة الأمي لا علاقة لها بهذه المسألة[٢].

ثم يؤيد ذلك المستشرق (نيكولسن) ويقول: (إن أمية الرسول - صلى الله عليه وسلم- لا تعني جهله بالقراءة والكتابة، بل تعني أنه لم يطلع على الكتب القديمة، ومحمد كان قارئاً كاتباً - لأنه كان تاجراً، والتاجر لابد له أن يراجع حساباته، ويضبطها، ولا يتأتى له ذلك إلا بالقراءة والكتابة، وقد خاطبه الله -تعالى -: بـ (اقرأ)[٣].

ومن هذا العرض يتبين أن المستشرقين يحاولون إثبات أن كلمة أمي ليست عربية الأصل، وأنها قد أخذت عن العبرية، وكانت تُطلق عند اليهود على الوثنيين لا على الذين لا يقرءون ولا يكتبون، وأن محمداً- صلوات ربي وسلامه عليه - كان قارئاً، وكاتباً، والحجة عندهم: أنه كان تاجراً، والتاجر لا بد أن يكون قارئاً، والله -تعالى - قال له: اقرأ. وهذا برهانهم الذي به على أمية رسولنا الأكرم يفترون، ويغالطون !. وللرد على هؤلاء أقول:

غني عن البيان أن هذه المزاعم لا تنتمي إلى الحق من قريب أو بعيد لما يلي:

أولا:- أن كلمة أمي ليست دخيلة على اللغة العربية بل هي أصيلة، ومسجلة في معاجم اللغة العربية، ومعروف بأن الأمي في لغة العرب (هو الذي لا يقرأ، ولا يكتب نسبة إلى الأم فهو على حالته التي ولدته بها أمه[٤])، (أو أن نسبته إلى أمه في عدم الكتابة؛ لأن نساء العرب لا تقرأ ولا تكتب في الغالب)[٥] فإذا كان المستشرقون قد جهلوا ذلك وظنوا أن الكلمة دخيلة على العربية وأنها لا تدل على عدم الكتابة والقراءة كما ذكر (باريه) في مقاله فهذا تقصير منه، وعدم معرفته بأصول العربية لا يؤثر في حقائق اللغة والعلم؛ لأن المعنى معروف في لغة العرب وثابت.

ثانياً: أن هذا الوصف المعروف بمعناه في لغة العرب قد نسبه القرآن الكريم حقاً وصدقاً لرسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- في آيتين متتاليتين: في سورة الأعراف: الأولى يقول سبحانه وتعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾

(الأعراف:١٥٧).

والثانية يقول جل وعلا:

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾

(الأعراف:١٥٨)

وكلمة أمِّيّ سياقها في الآيتين يدل على أن المراد عدم معرفته بالقراءة والكتابة، وقد

(٢) المصدر السابق ٦٤٤-٦٤٥.
(٣) المستشرق نيكولسن ومفترياته على الإسلام ص ٢٧١ يوسف الكباشي.
(٤) انظر لسان العرب لابن منظور ج١٢- ص٣٤-،والمعجم الوسيط ج١ ص٢٧-.
(٥) جامع البيان للطبري ج ٢ ص ٢٥٧، ٢٥٩.

تحدثت صراحة بذلك سورة العنكبوت في قوله تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٨).

والسورتان تُكذبان ما قاله المستشرقون من أن كلمة أمِّيّ نقلها النبي -صلى الله عليه وسلم- عن العبرية، وأن اليهود كانوا يطلقونها على الوثنيين فقط. ذلك لأن سورة الأعراف هي أول السور الطوال نزولا بمكة، وكذلك سورة العنكبوت، ومعلوم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن له علاقة باليهود عندما كان بمكة فكيف يأخذ منهم، وهو غير متصل بهم؟!، ثم لو صدقنا المستشرقين في زعمهم هذا - جدلا - كيف ينقل- عليه الصلاة والسلام - عنهم، ويكتب، وكل أهل مكة أهله، وقومه الذين ولد بينهم، وتربى يعرفون أنه أميٌّ لا يقرأ، ولا يكتب؟ إن هذا لشيء عجاب!.

ثالثاً: إن آية سورة الأعراف تشير بلا خفاء حتى وإن غالط في ذلك المستشرقون: أن أهل الكتاب يعرفون جيداً صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- في كتبهم كما يعرفون أبناءهم، ومن هذه الصفات: أنه أمي لا يقرأ، ولا يكتب، ومع ذلك سيُعلم المتعلمين، وسيُلقى إليه كتاب يعجز عن الإتيان بمثله، أو حتى بآية منه: الجن، والإنس، ويحفظه حفظاً، ويتلوه على الأسماع، ولا يستطيع أن يكتبه. فإن كتب خلفه كاتب، وردد بعد ذلك ما كُتب عنه لا يُخطئ في كلمة واحدة، ولا حتى في حرف واحد مما تلاه، وهذا الأمر لا يستطيع أن يؤديه أبلغ البلغاء في دنيا الناس، ومع ذلك يؤديه هذا النبي -عليه من الله الصلاة والسلام- مما يدل على إعجازه.

وهاك سفر التثنية: يدلل على ثبوت أمية الرسول -صلى الله عليه وسلم- وينقل قول الرب لموسى -عليه السلام-: (أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)[٦] ومعلوم (أن المثلية) بين النبيين الكريمين موسى، ومحمد -عليهما السلام- متحققة في أمور كثيرة أبرزها: الميلاد من أب وأم، وهو لا ينطبق على عيسى - عليه السلام - بل ينطبق على محمد - صلى الله عليه وسلم.

كما أن قوله: (من إخوتهم): دليل على أنه من نسل إسماعيل لا من نسل إسحاق -عليهما السلام-، وهذا ينطبق على نبينا الأكرم محمد - صلى الله عليه وسلم - لا عيسى الوجيه - عليه السلام-، فهو لا أب له، ولا جد، بل ولا قوم. فكل الأنبياء يذكر لهم أقوام في القرآن الكريم ما عدا هذا النبي الوجيه لأنه ينتسب إلى امرأة لا إلى رجل، وهو آية للعالمين. وقوله: (وأجعل كلامي في فمه) أي إنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب بل يسمع ويُسمع فقط.

وفي إنجيل يوحنا: يحكي المسيح -عليه السلام- لتلاميذه قائلاً: (لا أتكلم معكم كثيراً؛ لأن رئيس العالم يأتي[٧]) (وهو

(٦) سفر التثنية إصحاح ١٨/١٨.
(٧) إنجيل يوحنا إصحاح ١٤/ ٣٠.

يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية[٨] وقد ثبت - كما أشرنا في مقال لنا من قبل - أن رئيس العالم هو المبعوث رحمة للعالمين -صلى الله عليه وسلم-، و(معنى كل ما يسمع يتكلم به) أي: (أمي) و تلقيه من ربه بالسماع لا بالكتابة، كما وضح النص السابق(وأجعل كلامي في فمه). وعلى ذلك فإن التوراة والإنجيل قد أثبتا أمية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن غفل عن ذلك الغافلون، وكذَّب به المفترون.

رابعا: أما الزعم بأن الدليل على عدم أمية الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه كان تاجراً، وأن الله -تعالى- قال له: (اقرأ) فهو زعم باطل، لأنه لا يلزم أن يكون التاجر قارئاً، وكاتباً، ونحن نرى في واقعنا كثيراً من التجار ورجال الأعمال لا يعرفون أن يمسكوا بقلم، أو يتصفحوا جريدة، ومع ذلك فهم من أنجح الناس في تجارتهم، وأعمالهم. فالواقع يكذب ما ذهب إليه المستشرقون. أما حجتهم بأن الله -تعالى- خاطبه -صلى الله عليه وسلم- قائلاً له: اقرأ، فقد أثبتت كتب السنن الصحيحة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما أخبره جبريل -عليه السلام- بأمر ربه بالقراءة، قال: ما أنا بقارئ ثلاث مرات، وفي كل مرة يضمه جبريل حتى يبلغ منه الجهد، ثم قال له:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾

(العلق: ١، ٢)[٩]

وعليه فإن أمية النبي -صلى الله عليه وسلم- ثابتة بإقراره هو -عليه الصلاة والسلام-، وثابتة بخبر القرآن الكريم، وثابتة بالسنة المطهرة، وباعتراف أهل مكة جميعا فهم أدرى برجالها، وشعابها، وباعتراف كتب أهل الكتاب ورسلهم. وهذا هو الحق، وليس بعد الحق إلا الضلال.

***

(٨) إنجيل يوحنا ١٦- /١٣.
(٩) راجع صحيح البخاري ج١ بدء الوحي،وتفسير ابن كثير ج٤ ص ٥٤٣ والآيتان من سورة العلق ١-٢.